# كتاب الأغانى

## للأستاذ حسن خطاب الوكيل

طبع كتاب الأغانى بالمطبعة الأميرية فى عشرين جزءاً تنتهى بأخبار عمارة بن عقيل الخطفى . ومنذ خمسين عاماً ظهر فى عالم المطبوعات الجزء الحادى والعشرون من هذا الكتاب المستطاب . قام بنشره وطبعه المستشرق رودلف الأمريكى فى مدينة ليدن سنة ١٨٨٨ ، وحدث فى سنة ١٩٢٦ أن أديباً فاضلاً ونبيلاً من النبلاء رغب إلى دار الكتب المصرية فى أن تقوم بطبع الأغانى على نفقته ، فلما همت بتنفيذ هذه الرغبة الكافلة لم تعترف بالجزء الزائد على العشرين للأسباب الآتية :

١ — أنه لم يصدره ناشره بمقدمة يبين فيها أصل النسخة التى نشره عنها ولا فى أى المكتبات عثر على هذه الزيادة

٢ — أن أسلوبه ضعيف لا يشبه أسلوب أبى الفرج فى العشرين جزءاً المتقدمة

٣ — أنه يشرح فى كثير من الأحيان الألفاظ الغريبة التى ترد فى أبيات الشعر ، وهى طريقة غير معهودة فى الكتاب . فالجزء الأول مثلاً على كثرة ما فيه من الألفاظ الغريبة لم يشرح منها إلا القليل النادر ، وقد لا يعدو ما شرح فى هذا الجزء من هذا القبيل أربع أو خمس كلمات

٤ — أنه فى هذا الجزء يشرح أحياناً المعانى التركيبية لبعض الأبيات ، ولم نعهد مثل ذلك فى الأجزاء الماضية

٥ — أنه يكتب كثيراً كلمة — صوت — على شعر لم يغن فيه ، وطريقة الكتاب ألا تكتب هذه الكلمة إلا على الشعر الذى يُتحدث بعدُ أنه وقع فيه غناء ... الخ

ونحن نسلم بأن (رودلف) قد قصر فى أنه لم يصدره بمقدمة وأنه لم يذكر فى أى المكتبات عثر على هذا الجزء ... الخ ولكن هذا لا يكون حجة فى أنه ليس من الكتاب إذ كل هذه الاعتبارات إنما هى مجرد ملاحظات غير محدودة ، ولا تنهض دليلاً على أن الجزء ليس من الكتاب ، ومن المحتمل أن يكون لكتاب الأغانى بقية لم تظهر بعد ، أو تناولتها أيدى الضياع .

وها هو ذا يا قوت يتحدث إلينا فى كتابه معجم الأدباء عن الأغانى ويؤيد قولنا هذا حيث يقول : ( وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به ، وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابى المرسوم بأخبار الشعراء فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته بعد بشىء ولا بنى به فى غير موضع منه كقوله فى أخبار أبى العتاهية — وقد طالت أخباره ها هنا ، وسنذكر خبره مع عتبة فى موضع آخر ولم يفعل . وقال فى موضع آخر — أخبار أبى نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت — ولم يتقدم شىء إلى أشباه لذلك . والأصوات المائة هى تسع وتسعون . وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شىء أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم )

هذا كلام يا قوت ، ومنه يحتمل أن الكتاب له بقية محتملة أو هو قد سقط منه شىء لطول العهد ، وعليه فلا يبعد أن يكون الجزء المتحدث عنه هو منه ، وها هو ذا الإمام الجليل ابن منظور صاحب لسان العرب ينقل عن الجزء الحادى والعشرين فى مختصره مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى منذ ستمائة عام مضت على مختصره هذا حديثاً طريفاً عن إسحاق الموصلى وغلامه زياد لم تذكر بعد إلا فى الجزء الحادى والعشرين .

## حديث إسحاق وزياد

إسحاق الموصلى من مشاهير الأدباء وأهل الغناء ، وأخباره فى كتاب الأغانى قد لا يخلو منها جزء منه ، وله حكاية ظريفة وأشعار ظويفة فى غلام له اسمه زياد لم تذكر إلا فى الجزء الحادى والعشرين من الكتاب ، وهذه الحكاية هى عماد بحثنا فى أن الجزء المشار إليه هو من الكتاب ، لأننا وجدنا العلامة ابن منظور نقلها عنه واختصرها منه

جاء فى أول الجزء الحادى والعشرين طبع ليدن والذى ادعاه رودلف ما نصه :

خليلى هيا نصطبح بسواد ونرو قلوباً هامهن سواد
وقولا لساقينا زياد يرقها فقد هز بعض القوم سقى زياد

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر — خبر إسحاق مع غلامه زياد — هذا الشعر يقوله إسحاق فى غلام له مملوك خلاسى يقال له زياد ، كان مولداً فى مولدى المدينة فصيحاً ظريفاً فجعله ساقيه وذكره هو وغيره فى شعره ،

فمن ذكره من الشعراء دعبل وله يقول : أخبرنى بذلك على بن سليمان الأخفش عن أبى سعيد السكرى قال : كان زياد الذى يذكره إسحاق فى عدة مواضع منها قوله : وقولا لساقينا زياد يرقها » نظيف للسقى لبقا . فقال فيه دعبل :

يقول زياد قف بصحبك مرة  على الربع مالى والوقوف على الربع

صوت

أدرها على فقد الحبيب فربما  شربت على نأى الأحبة والفجع
فما بلغتنى الكأس إلا شربتها  وإلا سقيت الأرض كأساً من الدمع

غنى فى البيت الثانى والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس ابن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر . قال أبو الحسن : وقد قيل إن هذين البيتين ( يعنى خليلى هيا نصطبح بسواد ) للأخطل . أخبرنى على بن سليمان قال حدثنى أبى قال : قال لى جعفر بن مروف الكاتب ( وكان قد جاوز مائة سنة ) لقد شهدت إسحاق يوماً فى مجلس أنس وهو يتغنى هذا الصوت ( خليلى هيا نصطبح بسواد ) وغلامه زياد جالس على مسورة يسقى وهو يومئذ غلام أمرد أصفر رقيق البدن حلو الوجه ، ولا أحد يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له زدنى ولا أنقصنى . أخبرنى على بن صالح بن هيثم الأنبارى . قال حدثنى أحمد بن الهيثم ( يعنى جد أبى رحمه الله ) قال : كنت ذات يوم جالساً فى منزلى « بسر من رأى » وعندى إخوان لى ، وكان طريق اسحاق فى مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على . فجاءنى الغلام يوماً وعندى أصدقاء لى فقال لى: اسحاق بن ابراهيم الموصلى بالباب فقلت له : قل له ويلك: يدخل أو فى الخلق أحد يستأذن عليه لإسحاق . فذهب الغلام وبادرت أسعى فى إثره حتى تلقيته فدخل وجلس منبسطاً آنساً فعرضنا عليه ما عندنا فأجاب إلى الشرب فأحضرناه نبيذاً مثمساً فشرب منه ، ثم قال : أتحبون أن أغنيكم قلنا : أى والله أطال الله بقاءك إنا نحب ذلك قال : فلم لم تسألونى ؟ قلنا : هبنك والله قال : فلاتفعلوا ثم دعا بعود فأحضرناه فاندفع فغنانا فشربنا وطربنا فلما فرغ قال : أحسنت أم لا ؟ فقلنا : بلى والله جعلنا الله فداءك لقد أحسنت قال : فما منعكم أن تقولوا لى أحسنت قلنا الهيبة والله لك قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون إن المغنى يجب أن يقال له غن ، ويجب أن يقال له إذا غنى أحسنت قال : ثم غنانا صوته « خليلى هيا نصطبح بسواد » فقلنا له يا أبا محمد من هو زياد الذى غنيته قال : هو غلامى الواقف بالباب ادعوه يا غلمان ، فأدخل إلينا ؛ فإذا هو غلام خلاسى قيمته عشرون ديناراً أو نحوها فأمسكنا عنه فقال : أتسألونى عنه فأعرفكم إياه ويخرج كما دخل وقد سمعتم شعرى فيه وغنائى . أشهدكم أنه حر لوجه الله وإنى زوجته أمتى فلانة فأعينوه على أمره قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم أخرجناها له من أموالنا .

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال : حدثنى أبى قال توفى زياد غلام إسحاق الذى يقول فيه . وقولا لساقينا زياد يرقها ، فقال إسحاق يرثيه :

فقدنا زياداً بمدطول صحبة (كذا)  فلا زال يسقى الغيث قبر زياد
ستبكيك كأس لم تجد من يديرها  وظبآن يستبطى الزجاجة صاد

أخبرنى عمى قال حدثنى ابن المكى عن أبيه قال اصطبح محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه إلى إسحاق فوجه إليه عدة رسل كلهم لا يصادفه حتى جاء أحدهم به فدخل منتشياً ومحمد مغضب فقال له : أين كنت ويلك . قال : أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً فركبت إلى بعض المتنزهات فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقانى زياد فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقينى فدار لى فيها لحن حسن وقد جئتك به فتبسم ثم قال هات فما تزال تأتى بما يرضى عنك عند السخط ، فغناه

صوت

إذا ما زياد علنى ثم علنى  ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل زهواً كأننى  عليك أمير المؤمنين أمير

قال بل على أبيك . قبح الله فعلك . فما يزال إحسانك فى غنائك يمحو أساءتك فى فعلك وأمر له بألف دينار — الشعر فى هذين البيتين للأخطل والغناء لإسحاق رمل بالبنصر — ورواية شعر الأخطل : إذا ما نديمى علنى ثم علنى ، وإنما غيره إسحاق إذا ما زياد

هذه حكاية إسحاق التى لم توجد إلا فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى وهى التى أقرها ابن منظور فى مختصره ونقلها عنه . فهل بعد هذه البيانات الأكيدة لقائل أن يقول إنه ليس من الكتاب فى شىء !

مصر  مصطفى الوكيل